وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الرسل عليهم الصلاة والسلام، والمدافعة بين ثقافة الرحمة وثقافة الاستكبار

د. محمد الحبيب التجكانيكلية أصول الدين) سابقا) تطوان

ـ ثقافة الرحمة في الإسلام

{وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون} (سبأ: 34)

{إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز} (المجادلة:20)

{بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق} (الأنبياء:28)

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله خلق، يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فبها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة(1).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما قضى الله الخلق، كتب في كتابه على نفسه، فهو موضوع عنده: إن رحمتي تغلب غضبي(2).

فالله عز وجل الرحمان الرحيم، خلق الخلق والكون بالرحمة، ولهدف أن تسود الرحمة بين أفراد المخلوقات، وبينهم وبين أحياء الكون وأشيائه.

الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء (3).

لقد خلق الله تعالى الإنسان من طين وروح: {إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين} (ص: 70-71)

الطين يشد الإنسان إلى الأرض، إلى المائدة بكل ثقلها ومغرياتها، بل وبنزواتها، وكل ذلك حافز مهم على عمارة الأرض واستخراج خيراتها، وتجميلها، أي أن ذلك لحكمة، والروح تشده إلى السماء بكل تطلعاتها، وأشواقها، وسموها، من أجل تحقيق التوازن بين مطالب المادة ومطالب الروح.

في نفس الآن، كرم الله الإنسان، وخلق من أجله كل مقدرات الكون.

{هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا} (البقرة:28).

{وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه} (الجاثية:12)

وحمَّل الإنسان أمانة الرحمة في الحياة: الرحمة بنفسه، وبالآخرين، وبالأحياء والأشياء.

{إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان} (الأحزاب:72)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وليقوم الإنسان بعبء حمل الأمانة على أكمل وجه، زوده الله تعالى بطاقة عقلية ووجدانية لها اتجاه وشوق نحو الرحمة، ونحو الاستقامة بحاسة، سماها الله عز وجل، الفطرة : "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تُنْتَج البهيمة بهيمة جمعاء(4)، هل تُحِسون فيهَا من جَدعاء(5)؟ ثم يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: {فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله} (الروم:29)(6).

ولضمان سلامة الفطرة من الآثار السيئة للمحيط الاجتماعي، ولتنشيط فعاليتها، لم يشأ الله تعالى الرحمان الرحيم أن يهمل الإنسان على الأرض، وإنما تَفقّده بالرسالات السماوية المتتالية المتضمنة لعبادة الله تعالى في كل الحركات والسكنات.

{وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون} (الذاريات:56).

وذلك كلما دعت الحاجة منذ أول رسول، آدم عليه السلام حتى آخرهم : محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم مرورا بمئات الرسل بينهما: {فإما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون} (البقرة:37)

{فإما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى} (طه:122)

إن الرسالات السماوية أو الدين بمكوناته الثلاث : العقيدة والشريعة والأخلاق، تعمل على تقوية الفطرة في اتجاهها، وفي أشواقها، وفي قيامها بمهمة الرحمة، بل وفي إنقاذ الإنسان من الوهدة التي قد تصيبه عندما يختل التوازن بين الطين والروح، حيث يتدخل عدو الإنسان المتربص إبليس اللعين بواسطة النفس الأمارة بالسوء، لأن اللعين أقسم أمام الله عز وجل أن يوسوس بالشر لبني آدم، ليحرفهم عن سواء السبيل: {فبعزتك لأغوينهم أجمعين} (ص:81)

{فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيْمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين}(الأعراف:15-16).

إلا أن تكريم الله تعالى للإنسان يجعل مواقفه وسلوكاته ناتجة عن وعي وإرادة، يُبتلى بالمحتملات، ويختار من بينها بأخلاقية، مستجيبا لدواعي الفطرة، ولتوجيهات الدين. {إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا} (الإنسان:2-3) {ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها} (الشمس: 8-10).

الدين بموازاة الفطرة هو مصدر ثقافة الرحمة في حياة الإنسان، وهو بالتالي، مصدر حضارة الرحمة، التي تعطي الإنسان أدواته المتعددة لصناعة الرحمة وتعميمها على المخلوقات، بعيدا عن صناعة التدمير.

إن ثقافة الرحمة تـرتبط بالتوحيد: حيث يؤمن الإنسان بالله تعالى ربا يخلق ويدبر أمور الإنسان والكون وحيث يؤمن به كذلك إلهًا يعلم كل شيء، ويحكم طبيعيا وتشريعيا، ويجازي على العمل في الدنيا وفي الآخرة بالعدل والإحسان، ويميز في الجزاء بين الإنسان الصالح والإنسان الفاسد المفسد.

{من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيّئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون} (الأنعام:161).

{أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون} (القلم:35- 36).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون} (الجاثية:20).

وأيضاً، حيث يتعبد الإنسان لله تعالى وفق المنهج الذي وضعه الله عز وجل للعبادة بمعناها الخاص، الذي يعني الشعائر، فتزكو نفس الإنسان بالصلاة والصيام والزكاة وما إليها، ويزداد خيره ورحمته: {وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر} (العنكبوت:45)، {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها} (التوبة:104).

ومن ثم، يحيا الإنسان حياته كلها عابداً لله تعالى بالمعنى العام للعبادة، الذي يعني التزام المنهج الشامل للحياة الذي أنزله الله عز وجل على رسله عليهم الصلاة والسلام، في المعاملات المالية وغيرها، وفي العلاقات الداخلية والخارجية، مع المسلمين ومع غير المسلمين، ومع الأحياء كلهم، ومع البيئة: {يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين} (البقرة:206)، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تَظْلِمُون ولا تُظلمُون} (البقرة:277- 278).

"إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فليغرسها"(7).

1- صحيح الإمام مسلم، رقم 2753.

2- صحيح الإمام مسلم، رقم 2751.

3- سنن الترمذي، رقم 2006.

4- ليس فيها نقص عضوي، وليس فيها عيب.

5- مقطوعة عضو، معيبة.

6- صحيح الإمام مسلم، رقم 2658.

7- مجمع الزوايد ج 4، ص 108، رقم 6236 وهو صحيح، والفسيلة : النخلة الصغيرة.

- في تاريخ الصراع بين ثقافتي الرحمة والاستكبار

كان الإنسان في مراحل حياته الأولى يعيش على ثقافة الرحمة، وعلى حضارتها، فيما يرويه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيئِين مبشرين ومنذرين"(1).

بمعنى أنه بالانحراف عن التوحيد، وجد الشركُ، ووجد الاختلاف بين الجماعات البشرية، فكانت ثقافة الاستكبار في مواجهة ثقافة الرحمة، ظهر شرك العقيدة وشِرْك العبادة أولاً، فعبدت الأصنام مع الله تعالى أو دونه، وعُبِد الشر المُتألّه في عدد من الحضارات كنمرود بابل، معاصر إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلم، خلال القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وكفرعون مصر معاصر موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد؛ لقد دعا إبراهيم الخليل النمرود إلى الإسلام وقال له : الله تعالى هو الذي يحيي ويميت، فأجاب النمرود

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بأنه هو أيضا يحيي ويميت، {ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربّه أن آتاه الله المُلك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحْيي وأُميت} (البقرة:257).

ودعا موسى فرعون مصر إلى الإيمان بالله ورسوله فأجاب الفرعون {لئِن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين} (الشعراء:28)، ثم ظهر شركُ التشريع، فشرّع للناس البشر المتأله من أمثال النمرود والفرعون وشرّع الوسطاءُ الذين يدّعون أنهم يجمعون جانباً ناسوتياً يتصل بالناس إلى جانب لاهوتي يتصل بالآلهة وهؤلاء هم الكهنة وسدنة المعابد الذين يشرّعون للناس ما يخالف شرع الله، باسم آلهتهم، فكانت الجاهلية التي تعني الرضا بوضع نفسي واجتماعي يحتكم لغير شرع الله عز وجل فالتشريع حق من حقوق الله تعالى على عباده، ومن خصائِص الألوهية الحق وحدها، لأنّه مظهر من مظاهر العبادة {إن الحُكم إلا لله أمر ألاّ تعبدوا إلا إيّاه ذلك الدّين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون} (يوسف:40)، {أفحُكْم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقومٍ يوقنون} (المائدة:52).

بدأت ثقافة الاستكبار، لأول مرّة في تاريخ البشرية، كما سبقت الإشارة(2)، مع قوم نوح عليه الصلاة والسلام، فقد دعا نوح قومه إلى الإسلام: {يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم} (الأعراف:58).

فأجابه القوم: {أنُؤمن لكَ واتّبعك الأرذَلُون} (الشعراء:111). ثم حثّ المستكبرون قومه على الثبات لعبادة الأصنام، وإلا يسمعوا لنوح الذي وصفوه بالضلال المبين {قال الملأ من قومه إنا لنراكَ في ضلال مبين} (الأعراف:59). وقالوا: {لا تذرنَّ آلهتكم ولا تذرُنّ وُدّا ولا سُواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً} (نوح:23).

وصبر نُوح، عليه السلام، خمسين وتسع مائة سنة، يدعو قومه إلى الإيمان بالله وبرسوله، دون جدوى، ولما يئِس من استقامتهم، دعا عليهم بالاستئصال؛ لأنّ فطرتهم قد فسدت، فكان إصرارهم على أن يعيشوا حالة استكبار لا رجعة عنها: {ربّ إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائِي إلا فراراً وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً} (نوح:5-7)، {رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً إنك إن تذرهم يُضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً} (نوح: 28- 29).

وكان الطوفان الذي أنهى وجود الكافرين من قوم نوح، عليه الصلاة والسلام، في نفس الآن نجّا الله نوحاً، والمومنين معه: {ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجياه وأصحاب السفينة} (العنكبوت:13-14). وتتابع الصراع بين ثقافة الرحمة وثقافة الاستكبار مع أنبياء الله : هود، وصالح، وشعيب، وإبراهيم، ويعقوب، وموسى، وغيرهم، عليهم الصلاة والسلام تارة تنتصر ثقافة الرحمة، مع ازدهار الإيمان، وتارة تنتصر ثقافة الاستكبار، مع ضعف الإيمان وانحساره، في حياة الأنبياء، أو بعد وفاتهم، لكن الصراع كان ينتهي بإبادة أعداء الله ورسله: {فكلاّ أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً(3)، ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغْرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} (العنكبوت:40).

وجاءت فترة تعتبر أحلك فترة في تاريخ الصراع بين ثقافة الرحمة وثقافة الاستكبار، وذلك يوم أن حلت توراة عزْرَا بن سرايا محل توراة موسى، عليه الصلاة والسلام، فمنَحَتْ توراة عزرا هذه اليهود امتيازاً: أن لهم إلههم الخاص بهم اسمه (يهْوَلاْ)، ووصفتهم بأنهم شعب الله المختار الذين أرواحهم جزء من روح الله، بينما أرواح بقية البشر من أرواح حيوانية في جسم من صورة إنسان، ومن هذا التزوير صار الأنبياء يقتلون بفتاوى تصدر عمن يعتبرون أنفسهم ورثة الأنبياء، لقد قتل زكرياء وابنه يحيى عليهما الصلاة والسلام، بفتاوى الستهدرين (المجلس الأعلى اليهودي)؛ وبنفس الفتوى صدر الحكم على نبيّ الله عيسى بن مريم، عليه الصلاة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والسلام، بالإعدام، والصلب؛ وجرت المحاولة للتنفيذ، لولا أن تدخل الله عز وجل فرفع رسوله عيسى بن مريم إلى السماء، وألقى شبهه على عدُوِّه: يهوذا الأخسر يوطي الحواري في الظاهر، عدو عيسى بن مريم في باطنه، على غرار ما سيكون بجانب خاتم النبيئين محمد بن عبد الله، عليه الصلاة والسلام منافق عربي، اسمه عبد الله بن أبيّ بن سلول : {وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه ما لهم به من علم إلا اتّباع الظّن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً} (النساء: 156-157)، {إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيئين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشِّرهم بعذاب أليم} (آل عمران:21).

وبعد الظن بقتل عيسى بن مريم أُفرغت رسالته في الثقافة الهيلينيستية التي جمعت كل وثنيات العصر من الشرق والغرب، فعل ذلك يهودي من مدينة طرسوس بجنوب تركيا، اسمه اليهودي شاوول، وأصبح اسمه المسيحي بُولُس؛ فعل ذلك ما بين سنة 50-- 60م، وتبعه على ذلك المجامع الكنسية، ثم الأناجيل، وخاصة الأربعة المتداولة اليوم، وكانت النتيجة أن عيسى بن مريم الذي جاء لينقذ بني إسرائيل من الوثنية، التي انحدروا إليها، أصبح هو وثناً يعبد من دون الله عز وجل، ولقد فضح القرآن وأدان هذا التشويه لرسالة وشخصية عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، وقال المسيح : يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد} (المائدة: 74-75).

وعانت البشرية الويلات من ثقافة الاستكبار ومن النتائج المترتبة عليها، بما تضمنته من شرك العقيدة، وشرك العبادة، وشركِ التشريع، ويكفي كمثال: أن إمبراطور بيزنطة نيُرون أحرق جزءا مهما من عاصمة ملكه روما، ذات المليونين من الساكنة، ليوسِّع قصره، وليجمِّل المدينة، ثم نسب جريمة الإحراق للميسيحيين ليبرر إبادتهم(4).

1- مستدرك الحاكم، ج2، ص 596، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

2- انظر الحديث السابق الذي أخرجه الحاكم في المستدرك.

3- الحاصب: حصى صغيرة كانت تنزل من السماء.

4- المسيحية والإسلام والاستشراق، ص:253.

5- ملامح الرحمة في أوصاف الرسول صلى الله عليه و سلم.

أما ملامح الرحمة في أوصاف الرسول صلى الله عليه و سلم وأخلاقه فهي التالية:

1- كان صلى الله عليه و سلم مثال التواضع، يجلس بين أصحابه فلا يتميز عنهم بشيء، بحيث إن الداخل على مجلسه ومجلس أصحابه لا يعرف من هو الرسول منهم. قال أنس بن مالك رضي الله عنه "بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه و سلم في المسجد، دخل رجل على جمل، فأناخه في المسجد، ثم عقله، قال لهم أيكم محمد؟ والنبي صلى الله عليه و سلم متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

هذا الرجل الأبيض المتكئ، فقال له الرجل: ابن عبد المطلب؟ فقال له النبي صلى الله عليه و سلم: قد أجبتك، فقال الرجل للنبي صلى الله عليه و سلم: إني أسألك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك، فقال: سل عما بَدا لك، فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، الله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: الله نعم.

قال: أنشدك، آلله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: اللهم نعم.

قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: اللهم نعم.

قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا، فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي صلى الله عليه و سلم: اللهم نعم.

فقال الرجل: آمنت بما جئت به ، وأنا رسول مَنْ وَرَائي من قومي، وأنا ضِمَام بن ثعلبة، أخو بني سعد بن بكر.

وفي حجة الوداع كان صلى الله عليه و سلم يقوم بأعمال الحج، كما يقوم بها أي حاج، لم توضع له الاحتياطات لا في الطريق، ولا في مواقع المناسك. قال قدامة بن عبد الله رضي الله عنه ، رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يرمي الجمرة، على ناقة شهباء، لا ضرب، ولا طرد، ولا إليك إليكي(1).

وذات يوم كلم رسول الله صلى الله عليه و سلم رجل فَدهِش وارتعد، فقال له صلى الله عليه و سلم: "هوِّن عليك"، صلى الله عليه و سلم.. صلى الله عليه و سلم.. يكره أن يقوم الناس من مجالسهم تعظيما له. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه و سلم كانوا إذا رأوا، لم يقوموا إليه، كما يعرفون من كراهية له.

قالت:لى الله عليه و سلم، يشارك أهله في أشغال البيت، فقد سُئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "ما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يصنع في بيته؟" قالت: "كما يصنع أحدكم في بيته، يَخْصِف النعل، ويرقع الثوب"، وفي رواية أخرى: "كان في مهنة أهله".

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه، كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعْتقِل الشاة، ويجيب دعوة المملوك(2).

2- كما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم مثال الحِلم، لا ينتصر لنفسه، وإنما يعفو ويصفح، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "ما رأيت رسول الله منتصرا من مظلمة ظلما قط، إلا أن ينتهك من محارم الله شيء، وإذا انتهك من محارم الله شيء، كان أشدهم في ذلك، وما خُيِّر بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما"(3).

وفي غزوة ذات الرقاع سنة 9هـ، انتهز أحد المحاربين وهو غورث بن الحارث ـ فرصة القيلولة للرسول صلى الله عليه و سلم ، وللصحابة، فتسلل إلى موقع الرسول وأخذ السيف وقال للرسول صلى الله عليه و سلم: "من يمنعك مني؟" فسقط السيف م يد غورث، فأخذه رسول الله صلى الله عليه و سلم ، وقال: "من يمنعك مني؟" فقال: كن خير آخذ قَدَرَ، فقال له: اشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟ قال عورث، لا، غير أني لا أقاتلك، ولا أكون معك، ولو أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، جاء غورث أصحابه فقال: "جئتكم من عند خير الناس"(4).

بل إنه من أوصاف الرسول صلى الله عليه و سلم وأخلاقه: أن محاولة استفزازه لا تزيده إلا حلما للمستفز. قال الحبر اليهودي الذي أسلم، زيد بن سُعنة: ما من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

علامات النبوة شيء إلا قد عرفتها في وجه محمد صلى الله عليه و سلم حتى نظرتُ إليه، إلا اثنتين لم أَخْبُرْهُما منه: سبِقُ حِلمُه جهلَه، ولا يزيده شدةُ الجهل عليه إلا حلما، فكنت انطلق إليه لأخالطه فأعرف حلمَه من جهله.

وانتهز زيد فرصة حاجة الرسول صلى الله عليه و سلم من المال يؤلف به قبيلة أسلمت وأصابها الجفاف، فعقد مع الرسول صلى الله عليه و سلم عقد سَلَم(5) على التمر بثمانين دينارا.

ولما كان قبل الأجل بثلاثة أيام جاء يطلب اقتضاء دينه، قال زيد بن شعنة: فجدَبْتُ بُردَه جبذة شديدة حتى سقط عن عاتقه، ثم أقبلت عليه بوجه غليظ، فقلت: ألا تقضيني يا محمد؟! فوالله ما علمتكم ـ بني عبد المطلب ـ بمَطل وقد كانت لي بمخالطتكم علم.

قال زيد بن شعنة، فارتعدت فرائص عمر رضي الله عنه ، وقال: أي عَدُوًّ الله، أتقول هذا لرسول الله، وتصنع به ما أرى، وتقول له ما أسمع؟! فوالذي بعثه بالحق، لولا ما أخاف فَوْتَه لسبق رأسُكَ! ورسول الله صلى الله عليه و سلم ينظر إلى عمر في تؤدة وسكون، ثم تبسم، وقال: لأنا وهو أحوج إلى غير هذا: أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن اتِّباعه.

قال زيد بن سعنة، فذهب بي عمر رضي الله عنه، فقضاني حقي، وزادني عشرين صاعا من تمر، فقلت: ما هذا؟ قال: امرني رسول الله صلى الله عليه و سلم، أن أزيدكَ مكان مارُعْتتكَ(6).

فقلت: أتعرفني يا عمر، قال: لا، فمن أنت؟ قلت: أنا زيد بن سعنة، قال: الحبر؟ قلت: الحبر، قال: فما دعاك إلى أن تفعل برسول الله صلى الله عليه و سلم ما فعلت، وتقول له ما قلت؟ قلت : يا عمر، إنه لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتُها في وجه رسول الله صلى الله عليه و سلم ، حين نظرتُ إليه، إلا اثنتين لم أخبُرْهما منه، يسبق حلمُه جهلَه، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، فقد أخبرته منه، فأشهدك ـ يا عمرـ اني قد رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه و سلم نبيا، اشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه و سلم.(7).

3- كان صلى الله عليه و سلم رؤوفا، حريصا على الرفق بأمته في كل الأمور، قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ، صلى بنا رسول الله صلى الله عليه و سلم ، صلاة الغداة، وسمع بكاء صبي، فخفَّفَ الصلاة، فقلنا يا رسول الله : خففت هذه الصلاة اليوم؟ فقال: إني سمعت بكاء صبي، فخشيت أن يفتِنَ أمَّه(8).

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: بعثني رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى اليمن. فقال: يا معاذ، إذا كان في الشتاء، فغلّس(9) بالفجر، وأطل القراءة قدر ما يُطيق الناس، ولا تملّهم، فإذا كان الصيف، فأسخري(10) لفجر، فإن الليل قصير، والناس ينامون، فأمهلهم حتى يدَّارِكوا(11).

وفي ليلة الإسراء والمعراج، لما فرض الله تعالى على الأمة المحمدية خمسين صلاة في اليوم والليلة، راجع صلى الله عليه و سلم ا لله عز وجل في التخفيف على أمته، بإشارة من نبي الله موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام، وكان صلى الله عليه و سلم يدعو: يا رب خفف على أمتي، يا رب خفف على أمتي، وفي كل مراجعة كان الله عز وجل، ينقص خمسا حتى قال في النهاية: يا محمد، إنها خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة(12).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

على أن الأمة المحمدية تشمل كل البشرية ، من بعثة الرسول صلى الله عليه و سلم إلى قيام الساعة، من آمنوا منهم، وهم أمة الإجابة، ومن لم يؤمنوا من اليهود والنصارى وغيرهم، وهم أمة الدعوة.

يقول الرسول صلى الله عليه و سلم: "والذي نفس محمد بيده، لا يسمع مني أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار(12).

{لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم} (التوبة: 129).

1- أخلاق النبي صلى الله عليه و سلم، لابن حبان الأصبهاني، أرقام: 56-60

2- أخلاق النبي صلى الله عليه و سلم، لابن حبان الأصبهاني، ص ك 35، 41 ومسند الإمام أحمد، رقم 929.14 ج 23، ص:193، وهو صحيح.

3- عقد السلم عقد على موضوع مثلي، يقدَّم فيه الثمن، ويؤخَّر فيه المثمن.

4- عوض رسول الله صلى الله عليه و سلم لزيد بن سحنة ما لحقه من ضرر معنوي، الذي حصل بتهديد عمر له، وكان التعويض عشرين صاعا.

5- أخلاق النبي صلى الله عليه و سلم، لابن حبان، ص: 74، وصحيح ابن حبان، رقم: 288، ج 1 ص: 531. وهو صحيح.

6- أخلاق النبي صلى الله عليه و سلم لابن حبان الأصبهاني، ص: 66-67.

7- بكر بالصلاة وقت الغَلَس، وهو شدة ظلمة اليل.

8- أخر صلاة الفجر حتى ظهور الإسفار، أي ضوء الصبح، قبل طلوع الشمس.

9- أخلاق النبي صلى الله عليه و سلم لابن حبان الاصبهاني ص: 67.

10- صحيح الإمام مسلم، رقم: 2890.

11- صحيح الإمام مسلم، رقم: 153.

This file was downloaded from QuranicThought.com